نحن والمسرح

كلما فكرت في البناء الحضاري الجديد الذي نسعى الى تشييده ، نحن العرب ، في هذا المنعطف من تاريخنا ، تساءلت بالحاح : كيف نستطيع ان نعيش بلا مسرح ؟

وأحاول احياناً ان اعلل سبب هذه الآفة بعوامل نفسية واجتماعية ، فأومن ببعض وجاهتها ، ولكني لا أقتنع قط بأنها تبرر هذا النقص في حياتنا الفكرية والروحية .

إن المسرح هو اشد الفنون الادبية التصاقاً بحياة الشعب ، واقدرها على التعبير عن شواغله ، واوفرها اتصالا بهمومه . ولعله بما يجسّد من تعبير وتفكير ينهض بهما أشخاص من لحم ودم ، يعيش الواقع اكثر مما تعيشه سائر الفنون ، ويحمل الناس على ان يحيوه من غير وهم او تهويل .

إن الانسان ليعجب ان يرى عشرات المسارح تقوم في كل بلد من بلدان العالم ، ويتدفق عليها الالوف من الناس ، وتعرض المسرحيات فيها اشهراً طوالا ، بل قد تبقى المسرحية بضع سنوات تجتذب الجمهور ، ولا تنقطع الا شهرين في عطلة الصيف — ان الانسان ليعجب ان يرى ذلك كله ، ثم لا يرى في البلدان العربية مسرحاً ذا شأن .

سوف يقال : ان الجمهور المسرحي غير موجود ، وسوف يقال : بل إن المؤلف المسرحي غير موجود ، وسوف يقال إن المسرح لن يقوم ، مالم تشجع الحكومات قيامه بالمساعدات المالية . وسنظل من هذه الاقوال في دوّامة ، او في دائرة مفرغة ، اذا لم نعتبرها جميعاً اسباباً رئيسية لضعف المسرح عندنا . فالحق اننا بحاجة الى الجمهور المسرحي ، والى المؤلف المسرحي ، والى المساعدة الحكومية للمسرح . إننا بحاجة اليها جميعاً ، لينهض المسرح العربي .

فأما الجمهور ، فأمر تذوّقه للمسرح وإقباله عليه مرهون بارتفاع مستوى العلم والثقافة وازدياد الوعي ، وهو في ذلك يشبه تذوق الفنون جميعاً . فسوف نظل معرضين عن حضور المسرح ما دامت الأمية عندنا طاغية ، وما دامت درجة الثقافة منخفضة .

ولكن حاجتنا الى المؤلف المسرحي ليست دون حاجة الجمهور الى العلم ليقدر أهمية المسرح . ونستطيع ان نقرر ، من غير ان نتهم بالظلم ، بأن المؤلف المسرحي الناجح لم يوجد عندنا بعد ، بخلاف الشاعر او الروائي او الدارس . واذا استعرضنا اسماء المؤلفين المسرحيين ، ألفيناها لا تعدو أصابع اليد ، ووجدنا أصحابها مؤلفي مسرح مجرد قلما يصلح للتمثيل . ولعلنا لا نخطئ اذا رددنا هذا النقص الى ان التأليف المسرحي فن جديد في ادبنا الحديث ، ليس له ماض ولا تراث ، وأن تكنيكه لايزال بدائياً في انتاجنا ، وأن ممارسته تحتاج الى موهبة وصبر وأناة .

على ان ضمان المستوى الرفيع للمسرح يقتضي ان تمد اليه الحكومة يدها بالمساعدة ، من غير ان تطلب — مقابل ذلك — حق التوجيه . فان كثيراً من المسارح العالمية الكبرى تتلقى من الحكومات مساعدات مالية تسد عجزها . وتلك الحكومات تعتبر هذه المساعدة واجباً يفرضه عليها الحرص على تكوين الذائقة الفنية عند الجمهور .

ونحن موقنون بان الحكومات العربية مقصرة اشد التقصير في تشجيع المسرح العربي بالاجمال . ونحن نملك ان نشدد في ذلك على المسؤولين في لبنان الذين يحرصون على تشجيع قدوم الفرق الاجنبية ولا يفكرون في محاولة خلق مسرح لبناني ، تقوم عليه فرقة لبنانية . وإن الأقبال الذي تحظى به تلك الفرق الأجنبية ، حين تقدم مسرحياتها على بعض مسارح دور السينما عندنا ، هو من الشدة بحيث يدعونا بالحاح الى إقامة مسرح لبناني ودعوة المؤلفين المسرحيين الى التأليف له ؛ ولاشك في ان وجود المسرح سيتيح الفرصة لتفتح بعض العبقريات الكامنة .

وبعد ، فان ادبنا العربي الحديث سيظل معتلا ما دام التأليف المسرحي فيه هزيلا ؛ وستظل الفنون عندنا ناقصة ، متعثرة الخطى ، مالم يقم المسرح بدوره في تكوين الذوق الفني من أجل توعية الجمهور العربي الذي يقبل على عهد جديد في حياته ، مليء بالوعود .

س . إ .